

الجزيرة الذهبية

محمود سالم



الجزيرة الذهبية

تأليف
محمود سالم



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٥٧٥ ٢٥٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٨.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.

جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

٧	من هم الشياطين الـ «١٣»؟
٩	أبطال هذه القصة
١١	ما هذا الشيء الغريب؟
١٧	مفاجأة في بومباي!
٢٣	صراع الحيتان!
٢٩	الفتحة الصخرية تختفي!
٣٣	العمالقة في جزيرة الذهب!
٣٧	ثم وقعت «ريما»!
٤٣	وفجأة غرقت الجزيرة!
٤٩	الفرقة تعزف لحن النهاية!

من هم الشياطين الـ «١٣»؟

إنهم ١٣ فتى وفتاة في مثل عمرك، كلُّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السَّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يره أحد، ولا يعرف حقيقته أحد. وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

- رقم «١»: «أحمد» من مصر.
- رقم «٢»: «عثمان» من السودان.
- رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.
- رقم «٤»: «هدى» من المغرب.
- رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.
- رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.
- رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.
- رقم «٨»: «فهد» من سوريا.
- رقم «٩»: «خالد» من الكويت.
- رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.
- رقم «١١»: «قيس» من السعودية.
- رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.
- رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.
- رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

ما هذا الشيء الغريب؟

كان القارب الشراعي ينساب على صفحة النيل الهادئة، بينما أضواء القاهرة تلمع على ضفتي النهر ... لقد كان الشياطين الـ «١٣» في رحلة نيلية إلى القناطر الخيرية ... ففي المساء عندما فُكّر الشياطين في سهرة، اقترح «خالد» الذهاب إلى القناطر عن طريق النيل، وحذ الباقون الفكرة ... فلم تمض لحظات حتى كانوا قد غادروا مقرّهم السري الفرعي في «الدقي»، واستقلوا قاربًا شراعيًا، انطلق بهم إلى القناطر ... لم يكن يشغلهم شيء؛ فهم في إجازة بلا عمل ...

كانت «ريما» تتابع بعينها ذلك الصبي الصغير الذي يقفز على حافة القارب رائحًا غاديًا لا يخشى شيئًا، وكأنه عصفور سعيد ... كان الصبي أسمر اللون من أثر وقوفه الكثير في الشمس، وعمله في القارب ... مرّ الصبي بجوار «عثمان» فلفت نظر «ريما» أنه ينظر طويلًا إلى النهر، وكأنه يتحدث إليه، ابتسمت وهي تفكر: المؤكد أن «عثمان» يُفكّر الآن في الخرطوم؛ فهي تقع على امتداد نفس النهر ... وعندما جالت بعينها بين بقية الشياطين رأت «أحمد» يتسمع من خلال جهاز صغير، فظلت تنظر إلى وجه «أحمد» الذي كانت تبدو عليه انفعالات تُنبئ أنه يتلقى رسالة من رقم «صفر» ...

شرد «أحمد» قليلًا ... لم يكن أحد ينظر إليه سوى «ريما»؛ فقد كان الباقون مُستغرقين في أشياء أخرى ... انتظرت «ريما» أن يتحدث «أحمد» لكنه لم ينطق ... كان الواضح أنها مكاملة عابرة، فلو كانت المسألة هامة، أو تحتاج إلى التحرك السريع، لكان «أحمد» قد تصرف بسرعة أو كان قد طلب إلغاء الرحلة، أو الاكتفاء بها عند هذا الحد ... ويبدو أن «أحمد» قد شعر بنظرات «ريما» فالتفت إليها وهو يبتسم ابتسامة حاول أن يجعلها هادئة، ابتسمت «ريما» وتحركت في اتجاه «أحمد». كانت تجلس في نهاية القارب، بينما «أحمد» يجلس في مقدمته، غير أنه أشار إليها أن تبقى ... تأكدت «ريما» أن «أحمد» قد

تلقي رسالة ما، لكنه لا يريد أن يزعم الشياطين ويقطع عليهم استمتاعهم بالرحلة ... بقيت «ريما» مكانها، وإن كانت قد ظلت تنظر إلى «أحمد» الذي حاول أن يتشاغل عنها، حتى لا يلفت نظر بقية الشياطين ...

قال البحار، صاحب القارب: هل نكمل طريقنا إلى القناطر؟

رد «أحمد» بسرعة: نعم، حتى القناطر الخيرية ...

نظر الجميع لحظة يستمعون إلى الحوار القصير الذي دار، ثم استغرق كلٌ منهم في أفكاره من جديد ... غير أن الحوار لفت نظر «ريما» أكثر، فلماذا رد «أحمد» بسرعة، وطلب أن تظل الرحلة حتى القناطر؟ لا بد أن هناك شيئاً، لكنه مؤجل إلى نهاية الرحلة ... ظلت «ريما» تنظر إلى «أحمد» ولم تمض لحظة، حتى كان «أحمد» يتسمع للجهاز من جديد ... كان يبدو عليه الاهتمام أكثر هذه المرة، وبدأت عيناه تجول بين الشياطين، كان من الواضح أنه يسمع أسماءً يُحدّدها بعينيّه ... توقفت عينا «أحمد» عند بحار القارب، فدُهِشت «ريما» لذلك ... وقفز إلى رأسها سؤال: هل هذا البحار يعني لهم شيئاً ... هل هي مغامرة جديدة، تبدأ بالصدفة من هذا القارب، ومع هذا البحار بالذات؟ ...

شرد «أحمد» ببصره بعد أن انتهى تسمُّعه للجهاز، ولعلت في الأفق من بعيد أضواء ... وصاح على أثرها البحار: يجب أن نعود فوراً، هناك إشارة ضوئية تقول إن القناطر مفتوحة، وهناك تصعب السيطرة على القارب؛ فالدوامات شديدة بسبب اندفاع الماء داخل الأهوسة ...

لفت نداء البحار أنظار الشياطين، فتحرّكوا في أماكنهم غير أن البحار قال بابتسامة: نستطيع أن نأتي إلى القناطر غداً ... يبدو أن هناك مراكب للنقل تعبر القناطر، ولأن قاربنا صغير، فإننا لا نستطيع أن نُقاوم التيار ...

بدأ البحار يعكس اتجاه القارب للعودة إلى القاهرة من جديد، لم يكن أحد من الشياطين قد نطق كلمة ... استمع الجميع إلى كلمات البحار وهم في أماكنهم، لكن «أحمد» قفز إلى البحار يسأله: في كم من الوقت نصل إلى روض الفرج؟ قال البحار: خلال ساعة؛ فالرياح معنا ...

قفزت «ريما» بسرعة لتقف بجوار «أحمد»، ابتسمت له وقالت: هناك رسالة وصلت إليك؟ ... ابتسم «أحمد» وهو يقول: كيف عرفت؟ ... ضحكت «ريما» ضحكتها الرقيقة، وهي تقول: لقد لاحظت ذلك، وأنت تتسمّع للجهاز مرتين، وتعبيرات وجهك تنطق بذلك ... أستطيع أيضاً أن أقول إن الرسالة حددت عدداً من الأسماء ...

ضحك «أحمد» وهو يضغط على كتف «ريما» قائلاً: من الضروري أن يكون الشياطين بهذا الذكاء ... نعم، كل ما قلته صحيح ...

كان الشياطين يُراقبون الحوار بين «ريما» و«أحمد» دون أن يسمعوها شيئاً منه ... لقد كانت العودة السريعة للقارب تأخذهم، والأضواء التي تقترب بسرعة تلفت نظرهم ... لقد بدأت ملامح الزمالك تظهر، وتناهت إلى أسماعهم موسيقى الجاز الآتية من كازينو «السولت»، الذي يقع على شاطئ النيل، وفي أقل من ساعة كان القارب يرسو عند المرسى ... نزل الشياطين بسرعة، واستقلوا سياراتهم، وقال «خالد»: هل انتهت السهرة؟ ... رد «أحمد» الذي كان في سيارة واحدة مع «خالد»: نعم ... هناك رسالة هامة وصلت من رقم «صفر» وهي تنتظرنا في المقر السري الصغير!

صمت الباقون في السيارة التي كان يركبها «أحمد» و«خالد» و«قيس» و«بو عمير» و«فهد»، وإن كانوا جميعاً يَتَمَنُّونَ في تلك اللحظة أن تصل السيارة في سرعة البرق إلى المقر، لمعرفة الرسالة ...

وبرغم سرعة السيارة، إلا أن المرور كان مُزْدَحِماً عند الكباري ... فتعطلت بعض الوقت، ثم انطلقت فوق كوبري «أبو العلا» قاطعة حي «الزمالك» الهادئ في تلك الساعة إلى كوبري «الزمالك»، ثم شارع النيل بطوله، إلى «الدقي»، حيث المقر السري القريب من فندق «الشيراتون» ...

وفي دقائق، كان الجميع حول الجهاز السري يقرءون الرسالة التي أرسلها رقم «صفر»، كانت الرسالة الأولى تقول: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» انتظروا رسالة أخرى ... كونوا مُستعدين ... ثم قرأ «أحمد» الرسالة الثانية، كانت تقول: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» ١ و ٢ و ٧ و ٩ و ١٠ و ١١ يتوجّهون إلى المقر السري ... الباقون ينتظرون في القاهرة ... الاجتماع ٨ ص ...

نظر الشياطين إلى بعضهم لحظة، ثم اتجهت أنظارهم إلى الضوء الأصفر في الجهاز السري، كان يُطفئ ويضيء ... عرفوا أن هناك رسالة جديدة، بدأ «أحمد» يضع على عينيه المنظار السري الذي يقرأ به رسائل رقم «صفر»؛ فهي مكتوبة بطريقة لا تُرى إلا بهذا المنظار ... أخذ يقرأ بينما الرسالة تكتب: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» تأجل الاجتماع ... انتظروا رسالة أخرى ...

لم يكن هناك ما يُقال ... تحركت «زبيدة» و«إلهام» و«ريما» لتجهيز طعام العشاء، بينما انشغل الباقون في إبدال ملابسهم، وعندما جلسوا حول مائدة الطعام، قالت «ريما»: هذه أول مرة يتأجل فيها الاجتماع برقم «صفر».

أحمد: هذه مسألة طبيعية ... ربما كانت هناك معلومات جديدة يريد رقم «صفر» إبلاغها إلينا، وقد تُغيّر من خطته في دعوتنا ...

صمت الشياطين الـ «١٣»، ولم يكن يُسمع سوى صوت ارتطام ملعقة بأحد الأطباق، تلفت نظر الباقين ... وكان الشياطين في حالة ترقب لوصول الرسالة الجديدة، التي يتحدّد على ضوءها حركة الشياطين ...

سأل «فهد»: لقد أخبرنا «أحمد» ونحن في الطريق، أن هناك رسالتين من رقم «صفر» كيف عرفت؟

ابتسم «أحمد» وقال: نسيْتُ أن أخبركم، لقد شغلتنِي الرسالة حتى تصوّرتُ أنكم تعرفون ... لقد جاءتني رسالة من خلال الجهاز السريّ الذي أحمله ونحن في القارب ... كانت الرسالة تقول: انتظروا! ... نظر «أحمد» إلى «ريما» وأكمل: لقد كانت «ريما» تتابعني حتى إنها عرفت بالتقريب ماذا تقول الرسالتان ... انتظر لحظة ... ثم قال: انتظرتُ الرسالة الثانية، حتى جاءت ونحن في القارب أيضًا، كانت تقول: من مَنكم سيتحرّكون إلى المقر السري؟ سأخبركم من هم ... في مقرّكم الصغير، سوف تجدون الأرقام ... صمت دقيقة ... وهو ينظر إلى الشياطين ثم أكمل: هذا ما جعلني أسرع إلى المقر ...

قال «بوعمير»: لكنك لم تخبرنا ونحن في القارب!

أحمد: لأن الرسالة لم تكن عاجلة، فلم تكن أشياء محدّدة، فقد رأيت أن أترككم تستمتعون بالرحلة، خاصة وأن «خالد» كان يتمنّى رؤية القناطر ...

ما كاد «أحمد» ينتهي من كلامه، حتى أضاءت اللمبة الصفراء فتركوا طعامهم، والتفوا حول الجهاز السري ... لبس «أحمد» المنظار، وبدأ يقرأ لهم كلمة كلمة ... كانت الرسالة تقول: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» ١ و ٩ و ١٠ الاجتماع الليلة الساعة ٢٤، ٢ يتجه إلى ن، ١١ يتجه إلى س ... الباقون في المكان ... أسرعوا ...

خلع «أحمد» المنظار، ونظر إليهم لحظة، ثم نظر إلى ساعته وقال: أمامنا أربع ساعات نستطيع أن نصل مُبكّرًا ...

قال «عثمان»: سأنصرف فورًا إلى مكتب شركة الطيران، فلا يزال الوقت مبكرًا ...

قال «قيس»: سأنزل معك، يجب أن أجد طائرة إلى السعودية فورًا ...

قام الشياطين بتجهيز أشياءهم، الحقيبة الصغيرة ذات الجيوب السرية، المجهّزة بالأسلحة الصغيرة الحديثة ... وعندما نظر «أحمد» حوله لم يجد «عثمان» ولا «قيس» ... ودّع الشياطين بعضهم، ثم انطلق «أحمد» و«ريما» و«خالد» إلى سيارتهم ...

ما هذا الشيء الغريب؟

في نفس الوقت جلس باقي الشياطين يرقبون الجهاز السري، كانوا يتمنون أن تأتي رسالة أخرى تطلب منهم أن يتحركوا ...

سألت «زبيدة»: هل سيصلون في الوقت المحدد؟

أجاب «باسم»: نعم يستطيعون ...

وفي الطريق إلى المقر السري، كانت السيارة تنطلق بالشياطين الثلاثة بسرعة رهيبية، كان الطريق طويلاً لكن السيارة التي يركبها الشياطين لا تعرف مكاناً بعيداً، إنها تأكل الطريق ببساطة لا يتصورها العقل ... لم يكن الشياطين الثلاثة يتحدثون، كان كلُّ منهم يفكر في شكل المغامرة الجديدة، ومضى الوقت بطيئاً بالنسبة لهم؛ فقد كانوا يتمنون الوصول بسرعة ... وفجأة أضيء الجهاز السري في السيارة، وسمعوا صوت رقم «صفر» يقول: أهلاً بكم ... إنني في انتظاركم، لعل الرحلة لم تكن متعبة ... صمت الجهاز، فنظر الشياطين الثلاثة إلى بعضهم، وابتسموا ...

ظهرت علامات الطريق التي لا يراها إلا الشياطين، وكان هذا يعني أنهم قد اقتربوا تماماً ... قال «خالد»: رحلة طيبة ومغامرة طيبة إن شاء الله ... ابتسم «أحمد» و«ريما» واستمرت السيارة في انطلاقها ...

مفاجأة في بومباي!

نظر «أحمد» إلى «خالد» و«ريما» فأضيء الجهاز السري، وسمع رقم «صفر»: هيا ... أنا في انتظاركم ...

انطلقت سيارة الشياطين إلى المقر السري، تفتّحت الأبواب بلا صوت حتى دخلت السيارة، واستقرت في مكانها ...

نزل الشياطين بسرعة، وأخذوا طريقهم إلى قاعة الاجتماع ولم يكذ الشياطين يستقرون، حتى سمعوا صوت أقدام تقترب، عرفوا أن رقم «صفر» يقترب منهم ... سمعوا صوت أوراق، وجاءهم صوت رقم «صفر»: أهلاً ... الآن سوف أرسل للزملاء أننا أمام عمليتين كبيرتين ...

صمت رقم «صفر» قليلاً ثم قال: إنَّ مهمتكم الجديدة، سوف تكون في المحيط الهندي، هذه معلومة مؤكّدة ... إن الرصيد الذهبي للعالم يتناقص شيئاً فشيئاً، دون أن تعرف الحكومات السبب ... إنَّ الذهب يُسحب من الأسواق ثم يختفي، وأنتم تعرفون أن ذلك يجعل العملات الورقية بلا غطاء ذهبي ...

أضيفت لمبة صفراء، ثم تلتها لمبة حمراء، كان هذا يعني أن هناك معلومات في طريقها إلى رقم «صفر» ... نظر الشياطين إلى بعضهم، ثم تعلقت أعينهم بمصدر صوت رقم «صفر»، لم تمض دقائق حتى جاءهم صوته: معلومات جديدة وردت من عميل لنا في «بومباي» ... ثم صمت لحظة، وسمع الشياطين صوت الأوراق تقلب، ثم جاءهم صوت رقم «صفر» عميقاً: هناك عصابة تسحب الرصيد الذهبي من الأسواق، هذه العصابة تتبع إحدى الجماعات الفوضوية في العالم، التي تُدبر لدمار العالم نهائياً ... إنها عندما تسحب الرصيد الذهبي للدول، تضع العالم كله في حالة كارثة اقتصادية، المعلومات التي وردت

تقول إن العصابة اسمها «رد فيش» أو «السمة الحمراء» ... وهذه العصابة ظهرت قبيل عام ١٩٣٠ عندما أصيب العالم بكارثة اقتصادية كادت تُؤدّي به إلى الدمار!

نظر الشياطين إلى بعضهم، كانت هناك أسئلة كثيرة يريدون إجابة عنها ... صمت رقم «صفر» قليلاً ثم قال: يرجح وجود كميات الذهب في إحدى مجموعات جزر «نكاديف» أو «ملديف» وقد تكون في مجموعة جزر «سيشل» ... أو «أميرانتي»، هناك منطقة في المحيط الهندي تقع بين الهند وأفريقيا، تنتشر فيها مجموعات الجزر ... أضيفت خريطة كبيرة للمحيط الهندي، وتعلقت أنظار الشياطين بها، ثم أضيء سهم، رسم دائرة واسعة حول مجموعات الجزر، استطاع الشياطين أن يقرءوا بجوار المجموعات التي ذكرها رقم «صفر» مجموعات أخرى، مجموعة جزر «بروفينسي» و«الديرا» و«تومورو» ثم «موريتسي» و«يونيون» ...

قال رقم «صفر»: لعلكم تستطيعون تحديدها تماماً؛ فهي تقع بين خطّي عرض ٢٠ شمالاً و ٢٠ جنوباً، وخطّي طول ٦٠ و ٨٠ شمالاً و ٦٠ و ٨٠ جنوباً ... في تلك المنطقة الواقعة أمام دول «اليمن» و«عمان» ومضيق باب المندب في البحر الأحمر، و«الصومال»، و«كينيا»، و«تنزانيا»، و«موزمبيق»، وكلها دول غنية بالذهب والماس ... وهذه الدول تقع غرب مجموعات الجزر، أما شرقها فيقع مقابلاً للهند، المنطقة التي سوف يجري فيها عملكم، منطقة واسعة نوعاً، غير أنني أعرف جهودكم ... ملاحظة قد تفيدكم في الوصول إلى تحديد الجزيرة: إن الطيور البحرية في تلك المنطقة تموت عند خط معين لم يُكتشف بعد، ولا أحد يعرف السبب!

سكت رقم «صفر» وأخذ يقلب بعض الأوراق، كان صوت الأوراق يصل إلى الشياطين في قاعة الاجتماعات الزرقاء، قال أخيراً: المعلومات عن عصابة «السمة الحمراء» ليست متوفرة تماماً، وإن كان لدينا البعض منها من بين أعضائها «فيشر» أو «الصيد» قصير القامة، ضئيل الجسم يبلغ وزنه حوالي ٥٦ كيلو، كان تاجرًا للذهب سنوات طويلة، وكان يُعتبر واحداً من أغنى أغنياء العالم، ولكنه كان يلعب القمار، فخسر ثروته في أقل من عام ... كانت إحدى هواياته صيد الحيتان، لكنه أقلع عنها، بعد أن أكل حوت الإصبع السبابة في يده اليمنى ... هناك أيضاً «تراب» أو «المصيدة» وهو يُشبه القنفذ رشيق الحركة، يلبس نظارة طبية، صامت في أغلب الأوقات، يتحدث عدداً من اللغات، من بينها اللغة العربية ... يُرجّح أنه زار مصر أكثر من مرة، وشوهد في حي الصاغة، وخان الخليي، في حوالي الأربعين من العمر، أسمر كالشرقيين، أو الهنود ...

كان الشياطين في حالة تركيز كاملة، يُحاول كلُّ منهم أن يختزن أكبر كمية من المعلومات التي يقولها رقم «صفر»، ورغم أنه صمت فترة، إلا أنه عاد للحديث مرة أخرى: إن المعلومات التي أقولها لكم الآن، سوف تجدونها مفصلة أكثر عند عميلنا في «بومباي» مستر «هان»، يحسن أن تبدعوا عملكم بعد لقائه؛ فهو يستطيع أن يوفر عليكم جهودًا كبيرة، ولن تحتاجوا إلى البحث عنه؛ فسوف يكون في انتظاركم في مطار «بومباي» ... هل من أسئلة ...؟

سأل «خالد»: هل يعرفنا مستر «هان»؟
رقم «صفر»: إنه يعرفكم بالتأكيد، وإن كان لم يلقَكم مرة ...
سألت «ريما»: وكيف سنُعرفه؟
رقم «صفر»: سوف يتقدم إليكم ويذكر رقم «صفر» ...
ابتسم الأصدقاء، وقال رقم «صفر»: تستطيعون الانطلاق الآن إلا إذا رأيتم أن تقضوا الليل هنا، وداعًا وأرجو لكم التوفيق ...
سمع الأصدقاء أقدام رقم «صفر» وهي تبتعد ... نظروا لبعضهم قليلاً ثم قال «أحمد»: أرى أن نقضي الليل هنا، فأنا مُتعب جدًا ...
انصرف الأصدقاء كلُّ إلى حجرته، وما كاد «أحمد» يدخلها، حتى أبدل ملابسه بسرعة وألقى نفسه على السرير ... في حين كانت «ريما» تفتح كتابًا أخذته من مكتبة المقر، كان الكتاب عن المحيط الهندي ... أما «خالد» فقد استغرق في التفكير، هذه مغامرة جديدة، قد تكون في أعماق المحيط حيث تبدو كل الأشياء كالأساطير ... غير أن «خالد» لم يستغرق كثيرًا في التفكير، فلم تمض ربع ساعة، حتى كان قد استغرق في نوم عميق.
قبل أن تُشرق الشمس، كان ضوء أزرق يُضيء بجوار وجه «ريما» التي استيقظت بسرعة؛ فقد سهرت نوعًا مُستغرقة في القراءة ... عرفت أن «أحمد» و«خالد» على استعداد للرحيل الآن، فضغطت على زر بجوارها، فعرف الاثنان أن «ريما» سوف تكون جاهزة بعد دقيقتين ...

عندما التقى الشياطين الثلاثة قالت «ريما»: يجب أن أجهز لكم بعض الساندويتشات، نأكلها في الطريق، حتى لا نضيع وقتًا ...

ابتسم الآخرون، وبدأ يتشاغلان، حتى تنتهي «ريما» من تجهيز الساندويتشات، ولم تمض دقائق، حتى كان الشياطين الثلاثة في طريقهم إلى القاهرة، غير أن «أحمد» أخذ جانب الطريق.

انقضى الطريق بسرعة، حتى ظهرت معالم القاهرة في الأفق ...
أحمد: أعتقد أننا ينبغي أن نذهب إلى المقر أولاً ...
ولم تمض نصف ساعة، حتى كان «أحمد» يقطع شوارع القاهرة في الطريق إلى المقر
السري الآخر للشياطين ...
توقفت السيارة، ونزلوا بسرعة، لم يكن في المقر سوى «بو عمير» و«مصباح»، فسأل
«خالد»: أين بقية الشياطين؟
مصباح: في أعمال خاصة بالمغامرة الجديدة، بعد أن وصلت إشارة أمس ...
أحمد: من المجموعة؟
بوعمير: أنا و«مصباح» و«هدى» و«باسم» و«زبيدة» ...
ابتسم «أحمد» فأثار ذلك بقية الشياطين، غير أن «خالد» قال: إنها مسألة منطقية ...
إن شياطين الشمال الإفريقي، يستطيعون التحرك أكثر.
ضحك الشياطين، فقد فهموا أن المجموعة المطلوبة، تضم شياطين هذه المنطقة التي
تضم «تونس» و«ليبيا» و«الجزائر» و«المغرب» ...
لم يكذ ينتهي من كلامه، حتى كان «مصباح» يصحب المجموعة إلى مكان تجمع
بقية الشياطين ... وهناك، كان بقية الشياطين، وسألهم: ألا توجد أخبار عن «قيس»
و«عثمان»؟
أحمد: سوف نلقاهما ربما في الغد ... وأنتم متى تتحركون؟
مصباح: بمجرد أن نُجهّز كل ما نحتاجه، وأظن أن ذلك لن يطول ...
ساروا جميعاً في الطريق إلى المقر ... ضحكت «هدى» وقالت: يبدو أن العمل سوف
يزداد هذه المرة؛ فهناك مجموعة عائدة من المقر، ومجموعة في الطريق إليه ...
ضحكوا جميعاً وسأل «فهد»: «أحمد» لم يُحدثنا عن المغامرة الجديدة ...!
أحمد: عندما نصل سوف تعرفون كل شيء ...
زبيدة: ما رأيكم لو جلسنا قليلاً في «السي هورس» أو «حصان البحر» ...؟ إنني أحب
هذا المكان تماماً؛ فقد دعاني «أحمد» مرة للغداء فيه ...
انحرف «أحمد» بسيارته قليلاً، ثم أخذ طريق النيل، حتى أصبح بجوار «السي
هورس»، فنزلوا جميعاً ... وما كادوا يجلسون حتى وضع «أحمد» يده في جيبه الداخلي،
ثم أنصت قليلاً، ونظر للأصدقاء، ثم قال: ينبغي أن نرحل فوراً ...
نظروا له جميعاً، فقال: هناك رسالة في المقر!

مفاجأة في بومباي!

أسرعوا إلى السيارة التي انطلقت كالريح، ولم تمضِ دقائق حتى كانوا في المقر السري ...

ما إن دخلوا حتى تقدّم «بو عمير» برسالة قرأها أمامهم جميعاً ... كانت الرسالة: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» تحركوا بسرعة هناك مفاجأة لكم في «بومباي»!

صراع الحيتان!

عندما استقل الشياطين الثلاثة طائرة الخطوط الجوية الهندية، كان يبدو أنهم فريق صغير من الكشافة في الاتجاه إلى رحلة ما ... ولذلك، فقد جلسوا بجوار بعضهم البعض وانهمكوا في أحاديث مختلفة عن ذكريات قديمة، غير أنَّ شخصاً ما، لفت نظر «أحمد»، كان ينظر له كثيراً ويبتسم ... خشي «أحمد» أن يكون هذا الرجل يعرف شيئاً عن اتجاههم، ولذلك، فقد نظر إلى «خالد» و«ريما» نظرات يفهمها الشياطين، ومن طرف خفي نظرت «ريما» في اتجاه الرجل الذي كان يجلس في كراسي اليمين، فحيّأها برأسه ...

نظرت «ريما» إلى «أحمد» وقالت: الرحلة من بدايتها تبدو فيها تلك المشاكل ... ففكر «أحمد» بسرعة، كان الرجل يمسك كتاباً عن صيد الحيتان، تذكر بسرعة تلك المعلومات التي تحدّث عنها رقم «صفر» عن فرد العصابة «فيشر»، الذي كانت هوايته صيد الحيتان ...

ألقي «أحمد» نظرة سريعة على يده اليمنى، فوجد كل أصابعه سليمة، إن المعلومات تقول إن «فيشر» قد فقد إصبعه السبابة من يده اليمنى ... كان الرجل لا يزال ينظر إليهم كل لحظة وأخرى، ولم يكن الصمت هو الحل الوحيد، تحرّك «أحمد» من مكانه، واتجه إلى الرجل وحياه بالإنجليزية، ثم استأذنه في أن يقرأ بعض الوقت في كتابه ... ابتسم الرجل ابتسامة عريضة، ثم أخرج قلمًا، وكتب إهداءً على أول صفحة من الكتاب، ثم قدمه لـ «أحمد» الذي شكره كثيراً، وإن كانت دهشته قد ازدادت ... وما كاد يجلس بين «خالد» و«ريما» حتى فتح الكتاب يقرأ الإهداء، كان الرجل قد كتب: «إلى الزميل «أحمد»، والأصدقاء ... ذكرى رحلة طيبة ... إمضاء «هان» ...»، وتحتها مباشرة كتب: «صفر». ... كاد الشياطين يصرّخون ... هذه إذن مفاجأة «بومباي». إن هذا إذن مستر «هان»، عميلهم في «بومباي»، غير أن الطائرة لم تكن قد قطعت حتى نصف المسافة إلى الهند ... نظر

الشياطين إلى مستر «هان» الذي حيّاهم وأدار وجهه بعيداً عنهم، ففهموا أنه يريد ألا يظهر شيء ... انهمك الشياطين في تصفّح الكتاب وهم يشعرون بسعادة غامرة، ثم قالت «ريما»: هل هذه مفاجأة «بومباي»؟

أجاب «خالد»: لا أظن ... لا بدّ أن هناك مفاجأة أخرى ...
أمسك «أحمد» بيدي «ريما» و«خالد» فنظرا له بدهشة ... فأشار إليهما أن يُنصتا ...
كان الجهاز السري الذي يحمله في جيبه يتلقى رسالة من رقم «صفر»، دقيقة واحدة ... ثم انتهت الرسالة ... فابتسم «أحمد». كانت الرسالة تقول: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» لا تزال مفاجأة «بومباي» في انتظاركم ... رحلة مُمتعة مع «هان»!
نقل «أحمد» الرسالة إلى بقية الشياطين، فابتسموا ... نظر في اتجاه مستر «هان» الذي كان ينظر إليه هو الآخر مُبتسماً، وهز رأسه، ثم رسم له علامة معناها: نعم، وصلتني الرسالة ...

كان الليل قد بدأ يهبط، نظر «أحمد» من نافذة الطائرة فشاهد اللون القرمزي الذي يصبغ السحاب، بينما الطائرة تطير على ارتفاع ١٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، كما أخبرهم قائد الطائرة ...

استغرق الشياطين الثلاثة في مشاهدة هذا المنظر الرائع بينما كانت الألوان تخفت قليلاً قليلاً، حتى أظلمت الدنيا ...

جاء طعام العشاء، فتمنّى لهم مستر «هان» عشاءً طيباً واستغرق الثلاثة في تناول العشاء بشهية ... وبعد ربع ساعة، كان الثلاثة قد استغرقوا في النوم ...
كان مستر «هان» يرقب أطفاله الصغار فيمتلئ وجهه بابتسامة هادئة ...

عندما فتح الشياطين أعينهم، كان ميكريفون الطائرة يطلب منهم ربط الأحزمة، فقد وصلوا إلى مطار «دهلي»، وبسرعة ربط الشياطين الأحزمة، ثم استغرقوا في مراقبة الأضواء التي تظهر من بعيد لمطار «دهلي»، ولم يمض وقت طويل، حتى كانت الطائرة تستقر على أرض المطار الضخم ...

نزل الشياطين بسرعة، بينما كان مستر «هان» قد سبقهم وانتظرهم في الخارج ... تصافحوا جميعاً:

مستر «هان»: أهلاً ... «أحمد»، أهلاً «ريما»، أهلاً ... «خالد» أهلاً ...

صراع الحيتان!

وعندما لمح الدهشة على وجوههم أكمل كلامه: لا تَنْدهشوا ... إنني أعرفكم من زمن، ودائماً تصلُّني صوركم من رقم «صفر» ... إننا نعمل معاً، ومن الضروري أن أعرفكم، هيا بنا ...

تبع الشياطين الثلاثة مستر «هان» إلى خارج المطار، لكنهم في النهاية دخلوا إلى مطار آخر بالقرب منه، دون أن يستقلُّوا سيارةً ما، إنه مطار للطيران الداخلي تابع للمطار الكبير ... استقروا في الطائرة الصغيرة التي أفلتت بسرعة، وخلال ساعتين، كانت الطائرة تهبط بهم في مطار «بومباي» ... وفجأةً صاح الثلاثة: غير معقول ... لقد كان «قيس» و«عثمان» في انتظارهم ... هذه إذن مفاجأة «بومباي» ... تقدَّم مستر «هان» وحيًّا «قيس» و«عثمان» اللذين عرفاه عندما قدمه «أحمد» إليهما ...

ركب الشياطين الخمسة، ومستر «هان» سيارة كانت في انتظارهم، وكان يقودها مستر «هان» ... وفي فندق «بومباي» الضخم الذي يطلُّ على الميناء، نزل الشياطين وقال مستر «هان»: سوف تبيتون الليلة هنا، وغداً سوف تنتقلون إلى مقركم السري ... هل تحتاجون شيئاً؟ أعتقد أنكم ينبغي أن ترتاحوا الليلة ... فلدينا عمل كثير ...

شكره الشياطين، وانصرف ... وبسرعة عقدوا اجتماعاً وقَدَّم كل واحد منهم تقريره ... قال «عثمان» إنه وصلته رسالة من رقم «صفر» في الخرطوم، طلب منه أن يتَّجه إلى ميناء «عقيق» على البحر الأحمر ... وهناك في محلِّ بيع العاديات المسمى «الإسورة السوداء» سوف يلتقي بأحد العملاء، ويُدعى «صالح» ... وقد أخبره «صالح» أن رجلاً يدعى «بورو» قد اشترى كمية كبيرة من الذهب واختفى في اليوم التالي ... وعرف أن «بورو» هذا له أربعة أصابع ...

صاحت «ريما»: إذن هو «فيشر»، وليس «بورو» كما يدَّعي!

قال «أحمد»: أكمل ...

«عثمان»: المعلومات تؤكد أنه نقل الذهب عن طريق البحر الأحمر، في اتجاه المحيط الهندي، وأن ذلك كان منذ عشرة أيام ... ثم طلب رقم «صفر» أن أتجه إلى مطار «بومباي» لأكون في انتظاركم ...

وقدم «قيس» تقريره ... وكان يتضمن اختفاء كمية كبيرة من الذهب من أسواق «السعودية»، وأنه يُرجح نقلها إلى «اليمن» لتصبح على ساحل المحيط الهندي ...

سأل «أحمد»: هل التقيت بأحد هناك؟

قيس: رقم «صفر» لم يطلب منِّي أن ألتقي بأحد ...

أحمد: إذن أماننا «بورو» أو «فيشر»، وهناك ثلاثة آخرون كما جاء في تقرير المحفوظات الخاصة بالشياطين ... إننا الآن في حاجة إلى تقسيم عملنا، وأعتقد أن «خالد» و«عثمان» و«ريما» عليهم مدينة «بومباي» ... وقيس وأنا، سيكون عملنا مراقبة الجزر ... غير أننا يجب أن ننام مبكرًا، حتى يأتينا مستر «هان» ونبدأ العمل ...

لم تمض دقائق، حتى كان الشياطين قد استغرقوا في النوم، غير أنه عند منتصف الليل، استيقظ «أحمد» على صوت الجهاز السري ... كان هناك رسالة من رقم «صفر» كانت الرسالة تقول: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» الجزيرة وسط مجموعة جزر «لكايف» المعلومات مؤكدة ...

شعر «أحمد» بالفرح، حتى إنه استغرق في التفكير بعد أن طار النوم من عينيه ... فكر أن يوقظ الشياطين، لكنه تراجع في تفكيره، ولم تمض لحظات حتى جاءت رسالة أخرى من مستر «هان» ... كانت الرسالة تقول: هل وصلتكم الرسالة؟ نَطلق في الثامنة صباحًا ...

سحب «أحمد» الغطاء، ثم استغرق في النوم ... إن اللحظات الجادة مع عصابة «النطاق السام» قد بدأت ...

قبيل الثامنة بدقائق، كان الشياطين يتناولون إفطارهم ... وفي الثامنة بالضبط، كان مستر «هان» قد وصل ... ألقى عليهم تحية الصباح ثم تبعوه، لقد كانت هناك سيارة صغيرة في الخارج ...

انطلقت السيارة في اتجاه الميناء، قال «أحمد»: أعتقد أننا يجب أن ننزل المحيط الآن ... ابتمس «هان» وقال: نعم ...

عند بوابة الميناء، نزل «هان»، وتبعه «خالد» و«ريما» و«عثمان» ... قدم «أحمد» تقريرًا مكتوبًا إلى «خالد»، وقال: اقرأه بسرعة قبل أن تبدءوا العمل ... أشار «هان» إلى «أحمد» في الاتجاه الذي سوف ينطلقون إليه، حتى يبدأ عملهم في المحيط ... ودون حديث طويل، عرف «أحمد» كيف تبدأ الأمور ...

عشر دقائق فقط مرت، وكان «أحمد» و«قيس» على شاطئ المحيط الواسع، بلونه الأزرق المخضر ... كانت هناك فتحة صخرية، اتَّجها إليها، وهناك نزلوا من السيارة واستقلُّوا غوَّاصة صغيرة خاصة، مصمَّمة بتجهيزات خاصة للشياطين ...

كان المنظر حولهما رائعًا، مجموعات الأسماك بألوانها المختلفة تتتابع في استعراض مُمتع ... أدار «أحمد» بوصلة الغوَّاصة، فظهرت خريطة مُضيئة تُحدِّد لهم اتجاه جزر «لكايف» ...

صراع الحيتان!

كانت الغواصة تَمَرِّق كالصاروخ في أعماق الماء ... وفجأة ... ظهرت مساحة سوداء ضخمة تتحرك في اتجاههما. قال «أحمد»: إنه حوتٌ ضخم يجب ألا نصطدم به، أو نتعرَّض له ... لكن الحوت كان يأخذ طريقه إليهما ... حاول «أحمد» أن يتفاداه، فمرَّ بجوار الغواصة مباشرة حتى إنها تأثرت بمروره، واهتزت عدة اهتزازات ... تنفس الاثنان بارتياح فقد كان يمكن أن تحدث كارثة ... ولم يكادا يهدآن قليلاً حتى كان الحوت خلفهما. مندفعاً بأقصى سرعة ... قال «أحمد»: ينبغي أن نتخلَّص منه» ضغط زراً في تابلوه الغواصة، فاندفعت من مؤخرتها ثلاثة صواريخ سامة في اتجاه الحوت، وفجأة اصطبغت المياه بلون الدم، ثم أخذ الحوت يترنَّح، ويأخذ اتجاهه إلى قاع المحيط ... لكن لم تمض لحظة حتى كانت مجموعات الحيتان تأخذ طريقها إلى الحوت القتيل، ثم تلتف حوله، وكأنها جنازة إنسانية ... وفي لمح البصر، كانت مجموعات الحيتان تندفع في اتجاههما بقوة ...

فكر «أحمد» لحظة، ثم زاد من سرعة الغواصة، فاندفعت أكثر ... ثم سحب ذراعاً تحت ذراعه اليسرى فأخذت الغواصة طريقها إلى سطح المياه، ولم يكد يظهر الضوء، حتى ظهر ضباب كثيف، فيما يشبه الدائرة ... ولم تمض لحظة، حتى شاهدا طائراً بحرياً يتجّه إلى هذا الضباب ... ثم يسقط ميتاً ... وصاح الاثنان: الجزيرة! ...

الفتحة الصخرية تختفي!

أوقف «أحمد» موتور الغواصة، وظل هو و«قيس» يتأملان هذا الضباب الكثيف ... لم تمض لحظات، حتى كان الضباب ينقشع ... نظر الاثنان إلى بعضهما ... ماذا يعني هذا؟ ... ظلا يرقبان الجزيرة التي ظهرت ... كانت عبارة عن كتلة صخرية ضخمة في وسطها مجموعة من الأشجار الاستوائية العالية ... أدار «أحمد» الموتور، وبدأ يتجه بالغواصة إلى الجزيرة، لكن الطائر المسكين أنقذهما في آخر لحظة ... لقد اقترب طائر «النورس» الأبيض الجميل من الجزيرة، وقبل أن يصل إليها سقط ميتاً ... هذه هي الجزيرة إذن ... وهذا هو نطاقها السام ... وبدا واضحاً، أنه ينبغي عليهما أن يعودا إلى حيث جاءا، ولتكن لهما جولة أخرى بعد اجتماع الشياطين ...

ضغط «أحمد» أحد الأزرار، فبدأت الغواصة تأخذ طريقها مرة أخرى إلى القاع، ثم تأخذ مسارها حسب «البوصلة» المضيئة إلى الشاطئ ...

في نفس الوقت كان الشياطين الثلاثة في عمل آخر داخل ميناء «بومباي» الضخم ... كان «هان» قد رتبّ الأمور قبل أن يصل الجميع ... كان «خالد» يعمل حملاً و«ريما» و«عثمان» يعملان في بوفيه الميناء ... كان الثلاثة يعرفون بالتحديد أوصاف «فيشر» و«تراب»، وكان وجود «خالد» في عمله كحمّال يُتيح له أن يرى حركة الميناء على أرصفتها ... في نفس الوقت كانت «ريما» ومعها «عثمان» يريان حركة السفر، داخل البوفيه، من خلال المنتظرين والمسافرين ...

سمع «خالد» ميكريفون الميناء يقول: وصلت الباخرة «فريدم» على الرصيف رقم «١٥» ... يتم الإنزال بعد نصف ساعة ... أسرع «خالد» في اتجاه رصيف رقم «١٥» ووقف يرقب الباخرة الضخمة ... كانت الباخرة «فريدم» أو «الحرية» تأخذ موقفها على الرصيف، بينما آلاف المنتظرين يرفعون أيديهم بالتحية ... كان المنظر مثيراً، لكنه لم يستغرق «خالد»

الذي كان يرقب لنشًا صغيرًا، يقترب من الباخرة، وهو يطلق صفارة ضخمة ... كان اللنش يحمل عددًا من البحارة، يلبسون ملابس البحرية، لكن واحدًا من بينهم كان يلبس ملابس عادية ... كان أقصر الموجودين، ضئيل الجسم ... تذكر «خالد» ما عرفه عن «فيشر» ... اقترب من رصيف الميناء، حيث اقترب اللنش أكثر، حتى اصطدم برقة بحاجز الرصيف، وفي رشاقة قفز أحد البحارة أولًا، ثم مدَّ يده إلى الرجل الضئيل الجسم فأمسك بيده، حتى قفز هو الآخر إلى الرصيف ... ظل «خالد» يتشاغل برؤية حركة الميناء، في نفس اللحظة التي كان يرقب فيها بحارة اللنش وهذا الرجل الضئيل الجسم ... تحرك الجميع، فتبعهم ... كانوا يأخذون طريقهم إلى البوفيه، وعندما جلسوا، اقترب «خالد» من «عثمان» وأسرَّ له شيئًا، ثم انصرف ... نادى الرجل الضئيل على عامل البوفيه، فأسرع «عثمان».

قال الرجل بالإنجليزية: أريد قهوة باللبن ... وطلب الآخرون أشياء أخرى ... خلال ذلك، كان «عثمان» يرقب ذلك الرجل ... سمع أحد البحارة يتحدث إليه ويُنَادِيه باسم «هل»، نظر «عثمان» إلى يدي «هل» كانت كاملة الأصابع، وإن كانت اليمنى، يُغطي السبابة فيها غطاء أبيض ... أسرع «عثمان» يُلبّي طلباتهم، وعندما عاد تعدد أن يقدم كوب القهوة له ... أشار له «هل» أن يضعها على الترابيزة ... قدم «عثمان» بقية الطلبات للآخرين، ووقف بعيدًا، يرقب لحظة أن يرفع «هل» كوب القهوة، بيده ... كان البحارة مستغرقين في الحديث ... لحظة، ورفع «هل» كوب القهوة بيده اليسرى ... فكر «عثمان» قد تكون عادة في الرجل أن يستخدم يده اليسرى، وقد يكون لإصابة ما في يده اليمنى ... لكن ظلَّ مع تلبية طلبات الزبائن في البوفيه، لا يجعل «هل» يغيب عن عينيه في نفس اللحظة ... كانت «ريما» التي تعمل داخل البوفيه في تجهيز طلبات الزبائن مُستغرقة تمامًا في عملها ... كانت حركة البوفيه نشيطة، حتى إن «عثمان» شعر بالتعب، لكثرة تنقله بين الترابيزات ...

وفي نفس الوقت ... كان «أحمد» و«قيس» قد خرجا من المحيط، واتخذا طريقهما إلى الميناء ... في الخارج أوقفا السيارة، ثم تقدما من البوابة، أوقفهما حرس الميناء فأخرج «أحمد» كارتنيها، وما إن رآه الحارس، حتى أفسح له الطريق ... دخل الاثنان واتجها إلى البوفيه جلسا كزبائن، ثم أشارا لـ «عثمان» الذي أقبل نحوهما متعبًا ... طلب «أحمد» كوب قهوة باللبن، وطلب «قيس» كوب شاي باللبن ... وعندما انصرف «عثمان»، كان الاثنان يضحكان، وهما ينظران إلى «ريما» التي كانت مشغولة تمامًا بعملها.

أجال «أحمد» عينيه في الجالسين ... ومن بعيد رأى «خالد» يدفع عربة نقل حقائب صغيرة أمامه، كان يبدو أن العربة ثقيلة الوزن ... وعندما مرَّ على البوفيه، التقت أعينهم وأشاروا لبعضهم بالتحية ...

أقبل «عثمان» بالقهوة والشاي، وتحدث إلى «أحمد» وهو يلفت نظره إلى مجموعة «هل» ...

انصرف «عثمان» وبدأ «أحمد» مراقبتهم ...

كان الوقت يمر سريعاً وسط حركة البوفيه والميناء ... عاد «خالد» وهو يدفع العربة الفارغة الآن، وبدأت مجموعة أخرى من عمال البوفيه وعاملاته في استلام العمل مكان المجموعة الأولى ... خرجت «ريما» وتبعها «عثمان». تقدماً في اتجاه الباب، فتبعهما «قيس» ... تباطأ «عثمان» قليلاً، حتى لحق به «قيس» ... قال «عثمان»: «إننا في الطريق إلى المقر السري ... العنوان شارع المهراجا رقم «٤٨» ... عاد «قيس» ولحق «عثمان» بـ «ريما» ... كان «خالد» يجلس مع «أحمد» ... قال «قيس»: ينبغي أن ينصرف «خالد» للراحة، فغداً لدينا عمل كثير ...

خالد: سوف أنصرف حالاً ... إنني في غاية التعب ...

انصرف «خالد»، وظل «أحمد» و«قيس» في مكانهما يرقبان مجموعة البحارة ... كان «هل» قد انتهى من احتساء القهوة، ثم وقف، فوقف الآخرون، وعندما تقدموا في اتجاه رصيف الميناء حيث يقف للنش، تبعهما الاثنان ... لحظات، حتى نزل الجميع، ثم انطلق للنش في سرعة رهيبة، لفت نظر «أحمد» ... أخذ الاثنان طريقهما للخروج من الميناء، لقد بدا أن هناك خطوات طيبة ...

في المقر السري، اجتمع الشياطين ... قال «أحمد»: لقد اكتشفنا الجزيرة!

صاح الباقون في سعادة قالت «ريما»: إذن ... لقد اختصرنا الطريق!

ابتسم «أحمد» وقال: بل لم يبدأ بعد ... قال «خالد»: إنني أشك في الرجل الضئيل ... قال «عثمان»: تقصد «هل»؟

خالد: مَنْ «هل»؟

«عثمان»: الرجل الضئيل الجسم ...

«أحمد»: إنني أضم صوتي إليكما، وهذا يحتاج إلى مراقبة يومية ... وهذه مهمة «خالد» و«ريما» ... أما «عثمان» فإنه سوف ينضمُّ إلينا؛ فقد نحاول دخول الجزيرة، اجتماعنا سوف يكون في الثامنة مساءً ...

ريما: أظن أنكم في حاجة إلى الطعام الآن ...

لم ينطق أحد، وكان هذا يعني أنهم جوعى ... وبسرعة تحركت «ريما» إلى المطبخ، نظر الشياطين إلى بعضهم ثم ابتسموا، وقاموا جميعاً خلفها، لمساعدتها ...

عندما انتهى الطعام الذي تناولوه في صمت، اتجه كلُّ منهم إلى غرفته ... وفي أقل من دقائق، كانوا جميعاً قد استغرقوا في النوم ...

في الصباح ... كان أول الذين استيقظوا هو «أحمد» وكان السبب هو تلك الإشارة الصوتية التي أصدرها الجهاز السري ... كانت هناك إشارة من مستر «هان» تسأل عن الشياطين ... رد «أحمد» على الإشارة بأن كل شيء على ما ينبغي ... قفز «أحمد» من سريره، ودق جرساً جعل الباقين يقفزون من أسرته ... وفي دقائق، كانوا جميعاً في طريقهم إلى العمل ...

اتجه «خالد» و«ريما» إلى الميناء ... واتجه «أحمد» و«قيس» و«عثمان» إلى المحيط ... عندما توقفت السيارة عند الفتحة الصخرية، نزل منها الشياطين الثلاثة واستقلوا الغواصة الخاصة بهم ... وبعد لحظات، بدأت الغواصة تغوص إلى أعماق المحيط ... وعندما وصلت إلى الأرض الصلبة في الأعماق، اندفعت في اتجاه السهم الذي تشير إليه البوصلة المضئية ... كان الاتجاه إلى الجزيرة.

استمرت الغواصة في انطلاقها ... ورغم عمق المحيط، إلا أن أضواء الغواصة كانت تضيء الأعماق تماماً ... لكن فجأة أظلمت الدنيا ... برغم الأضواء ... نظر الشياطين فوقهم، فوجدوا كتلة سوداء تتحرك ...

أدار «أحمد» رادار الغواصة ... فظهرت غواصة كبيرة على الشاشة ... كانت الغواصة تتحرك، والشياطين يُراقبونها ... وكان اتجاهها، هو نفس اتجاه السهم ... كان الاتجاه هو الجزيرة ...

قال «أحمد»: يبدو أننا سنجد طريقنا إلى داخل الجزيرة! أخذ «أحمد» يتتبع الغواصة، التي دخلت إلى نطاق الجزيرة، ثم أخذت ترتفع إلى سطح الماء ... داس «أحمد» على ذراع الطفو، فأخذت الغواصة تطفو ... وعندما أصبحت قريبة من السطح أوقف الغواصة، فظلت واقفة تحت السطح ... في نفس الوقت الذي وصلت فيه الغواصة الكبيرة إلى السطح تماماً وعلى شاشة الرادار ... ظهرت المفاجأة ...

العمالقة في جزيرة الذهب!

كان «هل» ومعه أربعة آخرون على ظهر الغواصة ... قال «أحمد»: إنه «فيشر» ... وهو نفسه «بورو» الذي سمع عنه «عثمان» في ميناء «عقيق» ...

تقدم الرجال الخمسة إلى الشاطئ ... كانت حركتهم واضحة على شاشة الرادار ... ظل الشياطين يتتبعون خطواتهم حتى اختفوا تمامًا ... داس «أحمد» ذراع الطفو، فأخذت الغواصة طريقها إلى السطح، ثم أخذت تقترب من الغواصة الكبيرة ... كانت غواصة متوسطة الحجم، يبدو أنها مجهزة بطريقة خاصة، وعلى ظهرها كانت توجد صناديق مقفولة ... فتح «أحمد» سقف غواصتهم ثم قفز إلى سلم الغواصة الكبيرة وما كاد يلمسها حتى دوت أجراس الإنذار ... ألقى «أحمد» نفسه بسرعة في الغواصة الصغيرة ثم قادها سريعًا إلى خليج صغير قريب ... وداس ذراع الغطس، فاخفت الغواصة الصغيرة تحت سطح الماء ... أخرج جهاز التصنُّت المثبَّت في سقف الغواصة، وبدأ يسمع ما يقال ... كانت الأصوات تقول: هناك أحد في الجزيرة ... قد يكون دخل الغواصة ... لا أظن ... إن أجراس الإنذار دقت ثم توقفت، وهذا يعني أن أحدًا صعد إلى الغواصة، لكنه لم يكن ينتظر هذه الأجراس ... قد يكون داخلها، واستطاع إيقاف الأجراس ... وعلى شاشة الرادار ... كان الرجال يتقدمون إلى الغواصة.

ابتسم الشياطين الثلاثة، وظلوا في أماكنهم لا يتحركون ... نزل أفراد العصابة إلى الغواصة، ثم أخذوا يُفتِّشونها ...

تحرك «أحمد» في بطاء إلى اتجاه أبعد، حيث أوقف الغواصة مُحازية للشاطئ تمامًا ... قال «قيس»: هيا ... نخرج من هنا ... فتح «عثمان» الباب ... وفجأة بدأ الشياطين يتسلَّلون ... أغلق «عثمان» الباب بسرعة ثم أدار «أحمد» جهاز طرد الهواء، فشعر الشياطين بالراحة ...

قال «أحمد»: هذه منطقة سامة ... يبدو أن المنطقة الوحيدة الصالحة للتنفس ... هي التي تقف فيها الغواصة ...

قال «قيس»: ربما يلبسون أجهزة ضد التسمم ...

عاد أفراد العصابة إلى الجزيرة ... فتح «أحمد» جيباً سحرياً في الغواصة، ثم أخرج ثلاث كمادات، لبسها الشياطين، ثم بدءوا يستعدون للنزول ... كانت هناك منطقة نباتية قريبة منهم ...

نزل الشياطين إلى شاطئ الجزيرة الصخري، ثم بدءوا يتسلقون الصخور الحادة التي كانت أمامهم، والتي كان يبدو أنها وضعت بطريقة خاصة، حتى يُصبح دخول الجزيرة شيئاً مُستحيلاً ...

وصل الشياطين إلى قمة الصخور، فظهرت أمامهم النباتات الاستوائية الشديدة الخضرة: أشجار الكاكاو ... وجوز الهند ... والموز ... والمانجو ... طارت في الجو طيور غريبة، ذات ألوان زاهية ... أخرج «أحمد» منظاره المُكَبَّر، ثم بدأ يتجه بين الأشجار العالية ... كان هناك كوخ من الخشب على الطراز الإنجليزي ... قال «أحمد»: ينبغي أن نتفرَّق، حتى لا نقع في أيديهم ... مكان التجمع، السيارة ...

بدأ كل واحد من الشياطين يأخذ اتجاهه ... كانت الاتصالات بينهم عن طريق الأجهزة اللاسلكية الصغيرة، التي يحملونها ...

فجأة، ظهر أمام «أحمد» عملاق ضخمة، غير أن «أحمد» كان يَخْتَفِي بين النباتات الكثيفة ... دار «أحمد» حوله حتى لا يظهر، غير أن كلباً ضخماً ارتفع نباحه، ثم طار في الهواء مُلقياً نفسه على «أحمد»، الذي أخرج خنجرًا ساماً، وتلقَّى به الكلب الضخم ... فجاءت الطعنة في بطنه فسقط صريعاً، غير أن ذلك كشف مكان «أحمد» أمام العملاق ... صرخ العملاق وقفز قفزة واسعة جعلته مقابلاً تماماً لـ «أحمد» ...

وقف الاثنان قبالة بعضهما، في نفس الوقت الذي ارتفعت فيه صرخة ... عرف «أحمد» أنها صوت «عثمان» ... شعر بالدماء تصعد إلى رأسه وفي حركة واحدة، كان قد ضرب العملاق بقدمه في وجهه ضربة جعلته يَنكفئ على الأرض ... وسقط مغشياً عليه ...

التفت «أحمد» خلفه ... كانت هناك مجموعة من الكلاب المدربة في الطريق إليه، ولم يكن أمامه إلا أن يصعد أقرب شجرة إليه ... غير أن الكلاب كانت تأخذ طريقها بشكل غريب إلى أعلى الشجرة، وعندما أصبحت قريبة منه، ضغط على فرع الشجرة، ثم قفز فطار في الهواء إلى شجرة أخرى، ومنها إلى الثالثة، حتى أصبح قريباً من الكُوخ الخشبي ... كان

أفراد العصابة يقفون هناك ... وفجأة ظهر عملاق ضخم، يحمل «عثمان» بين يديه مغشيًا عليه، ثم ألقاه على الأرض ... شعر بحرارة الجهاز السري، فعرف أن «قيس» قريبٌ منه ... نظر إلى الجهاز، فرأى المؤشر يتجه إلى اليمين ... نظر في اتجاه السهم، كان «قيس» يَخْتَبِئُ بين أفرع شجرة ... نظرا لبعضهما نظرات يفهماها ... ثم أخرج «أحمد» مسدسًا وأطلق طلقة صوتية، تردّد صداها في أنحاء الجزيرة، حتى إن العصابة ظنت أن هناك حربًا نووية ...

اختفى أفراد العصابة داخل الكوخ، وأصبحت الفرصة سانحة للشياطين حتى يتصرّفوا ... كان «عثمان» مُلقًى على الأرض ... أطلق «قيس» طلقة صوتية أخرى في اتجاه الكوخ، حتى إنه اهتز ... وفي لمح البصر، كان «أحمد» يحمل «عثمان» بين ذراعيه ... لكن طلقة نارية دوت بجوار أذنيه، جعلته ينبطح على الأرض ... أخرج «أحمد» بعض النشادر من حقيبته، وأخذ يُقربه من أنف «عثمان» الذي بدأ يفيق ... ونظر حواليه في دهشة ... ابتسم «أحمد» له ثم همس: اتبعني.

ظلّ الاثنان يزحفان ... بينما كانت أصوات طلقات الرصاص تملأ الجزيرة، في نفس الوقت الذي كان فيه «قيس» يُغطي انسحاب الاثنين ...

جلس «أحمد» و«عثمان» تحت شجرة، وكان «عثمان» يحسُّ بدوار، بتأثير الضربة التي سددها إليه العملاق فوق رأسه دون أن يراه ...

وفجأة ظهر أربعة رجال أطبقوا على «أحمد» و«عثمان» الذي لم يدر ماذا حدث ... غير أن «عثمان» استطاع أن يتصرّف بسرعة ... فقد ضرب أحد العمالقة في صدره ضربة جعلته يترنّح ... إلا أن الآخر كان قد أطبق على ذراعي «عثمان»، حتى لم يُعد يستطيع الحركة ... اقترب العملاق الآخر، وأوثق «عثمان» وساقا الاثنين إلى الكوخ، وعندما اقتربوا منه، شاهد «قيس» ما حدث ... وفي نفس اللحظة ... انهالت طلقات الرصاص على «قيس» الذي نزل بسرعة وأخذ يزحف مُبتعدًا عن المكان ...

فكّر «قيس» بسرعة ... لم يكن أمامه إلا أن يتّجه إلى السيارة ... وعندما كان قريبًا منها، أخرج بندقيته وركّب أجزائها ثم أطلق طلقة على رباط الغوّاصة فانقطع.

بدأت الغواصة تأخذ طريقها إلى وسط المحيط ... كان الجَرّ شديدًا حتى إن الغواصة ابتعدت عن الشاطئ بسرعة ... وشاهد أفراد العصابة يجرون إلى الشاطئ وهم يصرخون ... لكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا.

ابتسم «قيس» وقال: الآن تحدّدت إقامتكم ... لن تستطيعوا مغادرة الجزيرة، حتى أعود إليكم ...

فجأة، طار عصفور أزرق اللون فوق رأسه، فنظر له مُبتسماً ... كان العصفور جميلاً، إلى درجة تغري بصيده إلا أن «قيس» كان يتجه بسرعة إلى حيث توجد غواصتهم ... غير أنَّ شيئاً لفت نظره ... إن الطائر الأزرق كان يتبعه ... ويطير فوق رأسه ... ثم بدأ يُهاجمه. جرى «قيس» سريعاً، غير أنَّ الطائر كان أسرع منه ... ظلَّ يضربه بجناحيه ... أخرج مسدسه وصوّبه إلى الطائر، إلا أن الطائر استطاع أن يتفادى الطلقة ... ملأت الدهشة وجه «قيس»، لا بدَّ أن هذا طائر مُدرب ... أطلق عليه طلقة أخرى، إلا أنَّ الطائر تفادى أيضاً ... توقف «قيس» فهاجمه الطائر، وضربه بجناحيه على وجهه ... أخرج خنجراً، وانتظر أن يُهاجمه الطائر إلا أن الطائر ارتفع إلى مسافة بعيدة ... وبدأ «قيس» يسمع أصوات العصاة تقترب ... تأكد أن الطائر الأزرق طائر مُدرب، وأنه أرشد العصاة إلى مكانه ... نظر يبحث عن الطائر ... كان يطير فوقه تماماً ... صعد «قيس» إحدى أشجار المانجو، واختبأ بين أفرعها ... نظر في اتجاه الطائر، فلم يجده ... أخذ ينتقل بين أفرع الشجرة، حتى استطاع أن يصل إلى شجرة أخرى، فانتقل إليها ... كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي استطاع بها أن يهرب من الطائر ... تباعدت الأصوات، لكنه كان قد ابتعد هو الآخر عن مكان الغواصة ...

كانت أضواء النهار تختفي شيئاً فشيئاً، وبدأ الظلام يأخذ طريقه إلى الجزيرة ... ظل «قيس» في مكانه حتى أظلمت الدنيا تماماً، فنزل في اتجاه غواصة الشياطين حتى إذا اقترب منها، كانت هناك مفاجأة أخرى ...

ثم وقعت «ريما»!

كان هناك كلب ضخّم يجلس أمام المكان الذي تختفي فيه الغواصة ... لم يدرك «قيس» ماذا يفعل ... لم يكن يُريد أن يقتله بالبندقية حتى لا يُرشد أفراد العصابة إلى مكانه ... أخرج سهمًا ثم أطلقه في اتجاه الكلب ... إلا أن الكلب تحرك في نفس اللحظة فطاش السهم ... انتظر «قيس» قليلًا ... كان الكلب يأخذ طريقه إلى داخل الغابة، وعندما اختفى تمامًا، تحرّك «قيس» إلى الغواصة ... نزل بين الحشائش العالية وأخذ يبحث عنها ... لم تكن الغواصة موجودة ... ملأته الدهشة فلا بد أن العصابة قد توصّلت إليها ... أخرج رادارًا صغيرًا من حقيبته، وأداره ... ظهرت على الشاشة الصغيرة نقطة مُضيئة. عرف أنه في مكان يبعد قليلًا عن مكانها ...

ظل يتتبع النقطة المضيئة على الرادار. حتى وصل ... كانت في نفس مكانها ... ركب الغواصة، ثم خرج بها في ببطء إلى داخل المحيط ... ضغط ذراع الغطس، فأخذت الغواصة طريقها إلى القاع، وبدأ يرى على شاشة رادار الغواصة شاطئ المحيط، حتى يُحدّد المكان الذي سوف يخرج منه ...

في نفس اللحظة ... كان «أحمد» و«عثمان» مقبدين داخل حجرة صغيرة ... بينما في حجرة أخرى كان أفراد العصابة يُقرّرون مصيرهما ...

نظر «أحمد» إلى «عثمان» وحادثه بالعربية: يجب أن نرسل رسالة إلى رقم «صفر» ... عثمان: نعم؛ فنحن لا نعرف ماذا حدث لـ «قيس»، قد يكون في حجرة أخرى ... فجأة فُتح الباب وظهر رجل يضحك ... كان قصير القامة، يشبه «القنفذ» ... نظر «أحمد» إلى «عثمان» لقد فهم «أحمد» أن هذا هو «تراب» ...

تراب: أظن أنه من العقل أن تقولوا كل شيء ... مع من تعملان؟

كان «أحمد» يجلس القرفصاء ... وعدل «أحمد» من جلسته ببطء شديد حتى أصبح الرجل بجانب «أحمد»، وفي سرعة البرق طارت رجل «أحمد» في الهواء لتستقر في بطن الرجل الذي لم يستطع حتى أن يصرخ وسقط مَغشياً عليه ...

تحرك «أحمد» من مكانه في اتجاه «عثمان» حتى اقترب منه ... نظر إليه نظرة يفهمها الشياطين ... انحنى «عثمان» وأخذ بأسنانه يفك رباط «أحمد» حتى إذا انتهت من فك الحبل تماماً، وبدأ «أحمد» يشعر بالحرية قال لـ «عثمان»: إنه «تراب» الذي يعرف العربية ويُشبه «القنفذ»!

ابتسم «عثمان» ... وبدأ «أحمد» يفك رباط «عثمان» إلا أن الباب فتح في تلك اللحظة ... لكن «أحمد» كان أسرع، فقفز قفزة جعلته خلف الباب مباشرة ... ظهر «فيشر»، الذي بدت الدهشة على وجهه عندما رأى «تراب» في نومه ... وقبل أن يتحرك كان «أحمد» قد جذبته من ذراعه وضربه ضربة قوية، جعلته يندفع في نفس اللحظة التي تقدّمت فيها قدم «أحمد» لتعترض طريق «فيشر» ... فوقع على الأرض زاحفاً حتى اصطدمت رأسه بالجدار، وغاب عن الوعي ... أسرع «أحمد» وأغلق الباب الذي بدأت الدقات عليه ... أخذ «أحمد» يفك رباط «عثمان»، حتى إذا انتهى منه تماماً، دوت طلقة تكسر قفل الباب ... وعندما ظهر أفراد العصابة لم يجدوا أحداً ... لم يكن هناك سوى «فيشر» و«تراب» غائبين عن الوعي ...

كان «أحمد» و«عثمان» قد قفزا من إحدى نوافذ الحجرة واختفيا في ليل الجزيرة ... عندما دخل «قيس» المقر السري للشياطين في شارع «المهراجا» كان «خالد» و«ريما» يقفان خلف الباب مباشرة ... ابتسمت «ريما» وقالت: لقد أقلقنا غيا بكم ... ألقى «قيس» تحية المساء، ثم جلس وهو يشعر بالتعب ...

سأل «خالد»: ماذا حدث ...

قيس: لقد بدأ الصراع ...

ريما: إذن ... اكتشفتم العصابة!

قيس: نعم ... لكن ينبغي أن ننقذ «أحمد» و«عثمان» ... إنهما الآن في أيدي العصابة، محبوسان داخل الكوخ ...

صمت الثلاثة ... كان يبدو أن كلاً منهم يُفكر في طريقة ما ... للتحرك ...

ريما: هل نرسل إلى رقم «صفر» ... أو ... نستعين بـ «هان»؟

قيس: أظن أننا ينبغي أن نعتمد على أنفسنا ... هذه ليست أول مرة كما تعلمان نقف فيها أمام عصابة ما!

ثم وقعت «ريما»!

خالد: إذن فلنتحرك الآن.

ريما: ماذا حدث؟

بدأ «قيس» يحكي لهما ما حدث منذ افترقا حتى عاد إليهما ... كانت «ريما» تنصت بتأثر شديد، في نفس الوقت الذي يُنصت فيه «خالد» باهتمام ... وعندما انتهى «قيس» من حديثه، قال «خالد»: من الضروري أن نتحرَّك. قد يحدث شيء لا نتوقَّعه ... وما داموا لن يستطيعوا مغادرة الجزيرة، فإننا يُمكن أن نفعل شيئاً.
قيس: إنني لا أعرف الجزيرة جيِّداً، والدنيا ظلام.

ريما: هل يعني هذا أن نظل هنا، بينما «أحمد» و«عثمان» في محنتهما؟

صمت الشياطين فترة، كلُّ منهم يفكر في حل، في النهاية وقف «قيس» قائلاً: إنني مقتنع بأننا يجب أن نتحرَّك كما قال «خالد»، إنَّ لدينا كل الإمكانيات التي تجعلنا نتحرك في الظلام، وإلى أي اتجاه ... فما الذي يجعلنا نتأخَّر؟ ... هيا بنا ...

في لحظات كانت السيارة تنطلق في شوارع «بومباي»، في الاتجاه إلى شاطئ المحيط الهندي ... وعندما استقرت على الشاطئ، نزل منها الشياطين بسرعة واتجهوا إلى غواصتهم الصغيرة ... ولم تمضِ سوى لحظات حتى كانت الغواصة تشقُّ طريقها في أعماق المحيط ... كانت أعماق المحيط مظلمة تماماً، ورغم أن أضواء الغواصة كانت قوية إلا أن الأضواء لم تستطع أن تكشف كل شيء ... داس «قيس» على جهاز التوجيه الأوتوماتيكي، فبدأت الغواصة تمشي تبعاً للتوجيه الصادر إليها من الرادار ...

استغرقت «ريما» في مُشاهدة الأسماك الصغيرة ذات الألوان الجذابة التي كانت تُحيط بالغواصة وتمرُّ بجوارها لا يَفصلها سوى زجاج الأبواب أو الزجاج الأمامي، في الوقت الذي كانت تصدم فيه بعض الأسماك الصغيرة بالزجاج الأمامي للغواصة ...

أوقف «قيس» موتور الغواصة، وهو يقول: يَبْدو أنَّ أمامنا معركة جديدة ...

سألت «ريما»: معركة ... مع من؟

قيس: مع الحيتان! إنَّ الرادار يكشف كتلة سوداء بعيدة، هي في الغالب حوت ضخم ... ركَّز الشياطين أنظارهم على أعماق الماء الداكنة اللون، لم يكن يظهر أي شيء بوضوح ... غير أنه في لحظة سريعة لمع ضوء، ثم أخذ يقترب ...

قال «خالد»: إنَّ أعماق المحيط مليئة بالغريب من الأشياء!

قيس: لعلَّها غواصة تجوب أعماق المحيط باحثة عن شيء ما ...

كان الجسم المضيء يقترب أكثر فأكثر ... كان يبدو صغيراً ... وحتى عندما اقترب قليلاً، لم يكن حجمه يزداد، وعلى شاشة الرادار لم يكن يظهر شيء سوى كُتلة الضوء ...

وعندما اقترب تمامًا، استغرق الشياطين في الضحك ... لقد كانت مجرد سمكة مُضيئة ...
كان منظر السمكة بديعًا، حتى إن الشياطين ظلُّوا يشاهدونها وهي تدور حول الغواصة ...
أدار «قيس» الموتور، ثم بدأ ينطلق تبعًا لاتجاه الجزيرة الذي كان يحدده الرادار ...
فجأة ... دار الغواصة دورة سريعة ... وظهر لهم جسم غريب ضخ، أسود اللون ... أوقف
«قيس» الغواصة، ثم أخذ يتحقق من هذا الجسم الضخم ... كانت بقايا سفينة ضخمة وقد
تناثرت كتل الحديد في كل مكان، وتخرج منها الأسماك الصغيرة ثم تعود لختفي فيها ...
قالت «ريما»: هل يتكون السفن الغارقة هكذا في قاع المحيط؟

خالد: في الغالب ... إنهم فقط ينتشلون الأشياء الثمينة، ثم يتركونها ...
ريما: ولماذا لا ينتشلونها؟

خالد: لأنها عملية صعبة ... بجوار أن عملية انتشالها ربما تتكلف أكثر من ثمنها ...
أدار «قيس» محرك الغواصة، ثم أخذ ينطلق بها في هدوء ... كان يفكر فيما سوف
يحدث عندما يصلون إلى الجزيرة ... وفي «أحمد» و«عثمان»، وماذا يمكن أن يكون قد
حدث لهما ...

ظلت الغواصة في انطلاقها، حتى شاطئ الجزيرة، ثم توقفت ...
قال «قيس»: الآن، سنخرج إلى الشاطئ ... فلنلبس الكمامات، حتى لا نتأثر بالنطاق
السام ... إننا لا نستطيع أن نخرج من المكان المناسب لأننا قد نصطدم مباشرة مع العصا،
ولهذا يجب أن نخرج من مكان بعيد ...

كانت النباتات العالية تحوط الغواصة ... ضغط «قيس» ذراع الطفو فأخذت ترتفع
بهدهوء، حتى أصبحت على سطح الماء ... خرج الشياطين في صمت، كان كل شيء ساكنًا،
ومثيرًا للرغبة ... تقدموا في ببطء ... كان «قيس» قد أدار جهاز الرادار الصغير، وبدأ يتتبع
السهم الذي يُحدد لهم الاتجاه ... قطع الصمت زقزقة عصفور، يبدو أنه نائم ... ثم غرق
كل شيء في الصمت مرةً أخرى ... كان الشياطين يلبسون أحذية خفيفة لبينة، لا تُحدث
صوتًا ... إلا أن أوراق الأشجار الجافة كانت تكشف خطواتهم، وهم يدوسون عليها ...
فجأة ... ارتفع نباح كلاب بعيد. قال «قيس»: إنَّ الكلاب لها حاسة غريبة في رؤية الأشياء
بالليل!

ريما: هل يُمكن أن ترانا؟

قيس: يُمكن أن تُحسَّ بوجودنا، حتى لو لم ترنا.

تقدموا في هدوء ... كان الظلام كثيفًا؛ فالأشجار تتزايد كثافتها حتى إنهم اضطروا
إلى أن يُمسكوا حبلًا في أيديهم حتى لا يتوهوا عن بعضهم البعض ...

ثم وقعت «ريما»!

فجأة ... مد «خالد» يده ... وأمسك بيد «قيس» ثم همس له: إنني أسمع أصواتاً ...
توقف الشياطين ... ظلوا يُنصتون فترة ... تناهت إلى أسماعهم كلمات بعيدة، لم
يستطيعوا أن يفهموها جيداً ... كانت الأصوات تباعد، شيئاً فشيئاً حتى اختفت تماماً ...
قال «قيس»: لا بد أنهم يبحثون عنا الآن ...
خطوا خطوات إلى الأمام، لكن خطواتهم لم تستمر ... فقد حدث ما لم يكن يتوقعوه ...

وفجأة غرقت الجزيرة!

صرخت «ريما» صرخة عالية ... ثم انجذب «خالد» جذبة قوية جعلته يجذب «قيس»، وعندما استطاع الاثنان أن يقفا تمامًا، كانت «ريما» تصرخ: أنقذاني ... أنقذاني ... لقد سقطت «ريما» داخل حُفرة عميقة، وكان صوتها يتردد صداه داخلها ... قال «قيس» هامسًا: يجب أن نُدِّي لها بالحبْل، ثم نجذبها، دون أي صوت ... انحنى «قيس» على حافة الحفرة التي كانت تغطيها أوراق الأشجار وفروعها، ثم أخرج بطارية صغيرة، أخفاها داخل الحفرة، حتى لا يظهر ضوءها في الخارج، ثم أضاءها ... كانت «ريما» بعيدة تمامًا ... همس إليها «قيس»: لا تنزعجي ... ولا يجب أن تُصدري أي صوت، حتى لا ينكشف موقفنا ...

مدّت «ريما» يدها وأمسكت بالحبْل ... أخذ «قيس» و«خالد» يجذبانها، حتى اقتربت من حافة الحفرة ... مد «خالد» يده وأمسك يدها، ثم جذبها بهدوء، حتى أخرجها من الحفرة ... كانت بعض الدماء تسيل من ساقها ... قال «خالد»: لا بأس ... لقد انتهت الأزمة ...

تجمّد الثلاثة، وأمسكوا بأيدي بعضهم ... لقد كان هناك صوت أقدام تقترب ... كان يبدو أن الأقدام تقترب على حذر ... أخرج «قيس» جهاز الاتصال اللاسلكي الصغير ثم أداره، ولم تمض سوى لحظة، حتى همس بصوت مملوء بالفرح: «أحمد» و«عثمان» يقتربان! ظلت الأقدام تقترب أكثر فأكثر ... ثم صاح «عثمان»: الشياطين!

كانت لحظة مشحونة بالسعادة ... أخيرًا، لقد اجتمع الشياطين، أمسكوا بأيدي بعضهم، ثم غيروا اتجاه السير وخلف شجرة ضخمة، جلسوا جميعًا ... قال «أحمد»: ينبغي أن نستريح حتى الصباح، إننا أمام عملية كبيرة ... سوف نُقسّم أنفسنا، ثلاثة ينامون، واثنان يقومان بالحراسة ... وهكذا حتى الصباح ...

قال «قيس»: سوف أبدأ نوبة الحراسة ...

خالد: وأنا مع «قيس»، لقد تعبتمُ تمامًا ...

ريما: أنا و«خالد» نبدأ الحراسة ... فأنتم الثلاثة تعبتُم كثيرًا ... هكذا استقر التقسيم، وتمدّد الشياطين الثلاثة تحت الشجرة ... كان هواء الليل رقيقًا، حتى إنهم لم يلبثوا أن استغرقوا في النوم، في نفس الوقت الذي كان فيه «خالد» و«ريما» يقومان بالحراسة في شكل دائرة حول الشجرة ... كانت أصوات هادئة أحيانًا تقطع صمت الجزيرة بأشجارها ... صوت عصفور أو صوت كلب ينبح قليلًا ثم يهدأ ... مضت حوالي الساعة، ثم فجأة، توقف «خالد» ... كان يبدو أن أصوات أقدام تقترب ... اقتربت «ريما» من «خالد» وقالت بصوت هامس: يبدو أن أحدهما يقترب منا!

خالد: إنها أصوات أقدام كثيرة ...

ريما: هل نوقظ الباقيين؟

خالد: أعتقد أنه يجب أن ننتظر قليلًا، حتى تقترب الأصوات أكثر، فإذا أصبحت قريبة تمامًا، يُمكن أن نوقظهم ...

تجمّد الاثنان في مكانهما، بينما كانت أصوات الأقدام تقترب أكثر فأكثر، حتى أصبح من الضروري إيقاظ الشياطين الثلاثة ... اقترب «خالد» بسرعة من «أحمد» ثم هزّه برفق ... فتح «أحمد» عينيه، ونظر إلى «خالد» بدهشة ... وبصوت مُمتلئ بالنعاس سأل: هل بدأت نوبة حراستي؟

خالد: لا لم تبدأ بعد ... لكن يبدو أن أصواتًا غريبة تقترب منّا ...

قفز «أحمد» قفزة سريعة، وأصبح متحفزًا لأي طارئ في نفس اللحظة، كانت «ريما» توقف «عثمان» و«قيس» ... هب «عثمان» مذعورًا وهو يقول: ماذا هناك؟ لم تردّ «ريما»؛ فقد كانت توقف «قيس» ...

في تلك اللحظة ... التفّ الشياطين حول بعضهم، وبدءوا ينصتون جيدًا، كان صوت الأقدام يقترب أكثر ... فجأة صاحَب الصوت نباح كلب، وسمع الشياطين صوتًا يتحدث بالإنجليزية: لا بد أنهم في مكان قريب. رد آخر: إنهم في منطقة قريبة من هنا، ما دامت الكلاب تنبَح بهذا الشكل ... إننا يمكن أن نطلق الكلاب، سوف تَكشِف أماكنهم ...

قال «أحمد» بصوت هامس: يجب أن نُغادر المكان فورًا، إنَّ الصوت يأتي من جهة اليمين ... هيا نتجه إلى الاتجاه المعاكس ... تحرَّك الشياطين بسرعة ... ومع حركتهم ظلت الأصوات تقترب، ثم فجأة ... حاصَهم ضوء قوي كأنَّ الجزيرة قد غرقت في ضوء

النهار ... أغمض الشياطين أعينهم بسرعة لشدة الضوء ... ثم انبطحوا أرضاً، وزحفوا في اتجاه شجرة كافور ضخمة، حتى اختفوا خلفها ... في نفس الوقت الذي كانت تقترب فيه أصوات نباح الكلاب بدأ الشياطين يتحفزون ... إنهم أمام معركة شرسة ... كانت أصوات الكلاب تُحاصرهم، مع اقتراب أصوات أفراد العصابة أيضاً ... همس «أحمد»: «ريما» و«خالد» يزحفان بعيداً، دعونا نواجه نحن الثلاثة هذا الموقف ... على الأقل يكون هناك من يتصرف، إذا حدث شيء ...

في لمح البصر ... كانت «ريما» و«خالد» يزحفان بعيداً، حتى اختفيا عن الأنظار ... ووقف الشياطين الثلاثة عندما صاح «فيشر»: لا داعي للهرب ... استسلموا خير لكم ... لم ينطق أحد الشياطين الثلاثة ... ولم يستسلموا ... نظروا حولهم ... كان رجال العصابة يقفون في نصف دائرة بينما الكلاب الضخمة مربوطة في سلاسل، يمسكها بعض الحراس العمالقة ... ضحك «فيشر» وهو يقول: لا أظن أنكم سوف تفلتوا هذه المرة ... اقترب ثلاثة من رجال العصابة من الشياطين الثلاثة، حتى أصبحوا بجوارهم تماماً ... قال «فيشر»: هيا ضعوا القيود في أيديهم. تقدّم أفراد العصابة أكثر ... مدّ «أحمد» يديه إلى الرجل، وعندما كان يضع القيد في يديه، كانت ضربة قوية من قدم «أحمد» قد استقرت في بطنه حتى إنه صرخ ... وفي لمح البصر، كان «عثمان» يطير في الهواء ويضرب الآخر بمشط رجليه ... بينما كان «قيس» يوجه لكمة قوية إلى فك الرجل الثالث ... لم تكن هناك فرصة ليستخدام الآخرين مسدساتهم، حتى لا تُصيب زملاءهم ... فقد بدأت معركة بالأيدي ...

كان من الواضح، أن الشياطين سوف يقعون في أيدي العصابة لكثرتهم بعد أن انضم الآخرون إلى زملائهم ... لكن أنقذ الموقف كله في لحظة واحدة أن الغابة غرقت من جديد في الظلام ...

صرخ «فيشر»: ماذا حدث؟
وعندما أخرج أحدهم بطارية يُضيء بها المكان كان الشياطين الثلاثة قد اختفوا ... قال «فيشر»: أطلقوا الكلاب!
لم يكن الشياطين الثلاثة قد انصرفوا بعيداً ... لقد كانوا فوق شجرة قريبة، تطلّ على أفراد العصابة ...

أخرج «أحمد» من حقيبته الصغيرة، أنبوبة بها غاز مُثير للسعال وفتحها، ثم ألقى بها تحت الشجرة ... في نفس اللحظة التي اقتربت فيها الكلاب من الشجرة، وخلفهم أفراد العصابة يجرون ...

فجأة ... انتابت الجميع نوبة سعال حادة، جعلت الشياطين يَغرقون في حالة ضحك مكتوم ... ابتعد رجال العصابة عن الشجرة، فنزل الشياطين يتبعونهم في ترقب. في نفس الوقت ... كانت «ريما» و«خالد» يقفان فوق شجرة مانجو ضخمة، ينتظران ما يمكن أن تسفر عنه المعركة ...

ولم تمضِ لحظات، حتى كان نباح الكلاب يقترب ... قال «خالد»: يبدو أنهم قبضوا على الشياطين!

اقترب نباح الكلاب أكثر، واقتربت معه أصوات رجال العصابة حتى أصبحوا تحت الشجرة تمامًا ... قفزت الكلاب حول الشجرة تنبح ... قال واحد من العصابة: لا بد أنهم فوق الشجرة ... لكن فجأة تمددت الكلاب على الأرض، غارقة في نوم عميق ...

صرخ «فيشر»: ما هذا؟ يبدو أننا نُقابل شياطين ... أو رجالاً من كوكب آخر! اقترب رجال العصابة من كلابهم الضخمة، يرون ما حدث غير أن الكلاب لم تتحرك ... نظر «فيشر» إلى رجال العصابة ثم قال: لا بد أن ننصرف حالاً ... وأن نغادر الجزيرة! ابتعد رجال العصابة ... بينما الشياطين ينظرون إليهم في سخرية ...

اختفى أفراد العصابة تمامًا ... وبصفير هامس، نادى الشياطين لبعضهم، ثم اجتمعوا مرة أخرى ...

قال «عثمان»: يجب أن نتبعهم فوراً.

قال «أحمد»: بل العكس يجب أن نتركهم حتى الصباح، إنهم الآن مُضطربون تمامًا، ولن يناموا بقية الليل ... وهذا يسهل لنا مأموريتنا في الصباح؛ فنحن أيضاً في حاجة إلى النوم ... ونظر إلى «خالد» وقال: فكرة رائعة لأنك أطفأت الأنوار، لقد كنا في موقف صعب ...

ابتسم «خالد» وقال: إن الصدفة وحدها هي التي فعلت ذلك؛ فقد رأينا مولد الكهرباء أمامنا، ونحن ننسحب ...

نظم الشياطين بعضهم ... فنام «خالد» و«ريما» و«عثمان»، وظل «أحمد» و«قيس» في الحراسة ... انقضت ثلاث ساعات، استيقظ في نهايتها «خالد» و«عثمان»، بينما ظلت «ريما» نائمة ... وتوليا هما الحراسة ... وعندما كانت أضواء الفجر تزحف إلى الدنيا كانت الغابة لا تزال هادئة تماماً ... بدأ نور الشمس يغمر قمم الأشجار فيُعطيها بلون كالذهب، وبدأت أصوات العصافير تملأ المكان، وكأنها تعزف سيمفونية النهار ... تمطى «أحمد» في نومه، ثم فتح عينيه ... كان «عثمان» و«خالد» يقفان كالجنود في الوقت الذي يغط فيه «قيس» و«ريما» في نوم عميق ... قال «أحمد»: صباح الخير أيها الرجال ...

التفت «عثمان» و«خالد» إليه، وابتسما ... قال «عثمان»: صباح العصافير التي تشدو على الأغصان ... ضحك الثلاثة، وقفز «أحمد» في نشاط ... قال: يجب أن نجهز الإفطار حالاً ... ضحك الثلاثة، بينما كان «أحمد» يتحرك وهو يرقب الأشجار التي تحمل ثمارها بين الموز، والمانجو، والكاكو، وجوز الهند. أخذ يجمع بعضاً منها، وقد غطى الأرض فقد كانت كلها ثماراً ناضجة تماماً، سقطت بفعل هذا النضج ... اقترب من الشياطين وهو يقول: إفطار استوائى ... ضحك «عثمان» و«خالد»، وقال «أحمد»: يكفي نوماً للشياطين ... إننا نريد أن نفاجئهم الآن ...

استيقظت «ريما» و«قيس» ... قالت «ريما»: شيء رائع هذا الصباح ... ابتسم «قيس» وقال: الأروع منه تلك الليلة الماضية ... إنها فعلاً جزيرة ذهبية ...

ضحك الجميع، وأسرعوا إلى الإفطار ... رفعت «ريما» ثمرة جوز هند مكسورة، وشربت ماءها وهي تقول: ماء الحياة ... وفي نفس الوقت كان الآخرون يرفعون جوز الهند، ويشربون ماءه ... انتهى الطعام في ضحك، وقال «أحمد»: الآن ... يجب أن يبدأ العمل ... أخرج جهاز الإرسال الصغير، وأرسل رسالة إلى رقم «صفر» ... كان يقول في الرسالة: «من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر» ... نحن في المرحلة الأخيرة من العملية ... تحيات الشياطين ...»

تقدم الشياطين في تشكيل كُرأس حربة ... «أحمد» في المقدمة، وعن يمينه «خالد» و«عثمان» متأخرين قليلاً ... وعن يساره «قيس» و«ريما»، متأخرين قليلاً هما الآخران ... كان «أحمد» يمسك جهاز الرادار الصغير الذي كان يكشف له موقع كوخ العصابة، وكانت أرقام الرادار تقول إن الكوخ يبعد عنهما مسافة كيلومترين ... أسرع الشياطين في سيرهم، إلا أن «ريما» بدأت تشعر بالتعب بعد قليل، فتأخر معها «قيس»، وقال «أحمد»: إنكما تعرفان اتجاهنا، فاتبعانا ... نريد أن نصل إليهم قبل أن يستعدوا لشيء ...

وقفت «ريما» تستريح قليلاً، بينما كان الشياطين الثلاثة يُسرعون في خطوهم في اتجاه الكوخ ... ومن بين أغصان الأشجار، ظهرت مياه المحيط الزرقاء اللانهائية. نظر «أحمد» إلى «عثمان» و«خالد» وقال: تريان المحيط؟ نظر الاثنان إلى حيث يشير، ثم ابتسما ... كانت المسافة الزرقاء مع خضرة الأشجار، تُشكّل منظراً بديعاً ...

فجأة سمع الشياطين صفيراً، نظر «أحمد» في الاتجاه الذي يصدر منه الصوت ... وكانت المفاجأة.

الفرقة تعزف لحن النهاية!

كان رجال العصابة يَحْمِلُونَ قِوَارِبَ مِنَ الْمِطَاطِ، وَيَتَجَهَّوْنَ إِلَى الْمَحِيطِ ... قَالَ «أَحْمَدُ»: هَلْ تَرَيَانِ؟ ... يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ قَبْلَ أَنْ يَبْتَعِدُوا عَنِ الشَّاطِئِ. أَسْرَعَ الشَّيَاطِينُ فِي مَشِيَّتِهِمْ، بَيْنَمَا كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تَتَرَقَّبُ تَحْرُكَ الْعَصَابَةِ، قَالَ «عَثْمَانُ»: إِنَّ «فِيْشِرَ» لَيْسَ بَيْنَهُمْ! وَتَحَقَّقَ «أَحْمَدُ» قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ: هَذَا صَحِيحٌ ... رُبَّمَا يَكُونُ قَدْ غَادَرَ الْجَزِيرَةَ فِي اللَّيْلِ ...

أَخْرَجَ «أَحْمَدُ» مَسَدَّسَ الصَّوْتِ، ثُمَّ أَطْلَقَ طَلْقَةً دَوَتْ فِي صَمْتِ الْجَزِيرَةِ، حَتَّى إِنَّ الْعَصَابَةَ التَّفَتَّتْ، ثُمَّ انْطَرَحَتْ أَرْضًا ... بَدَأَ الشَّيَاطِينُ يَجْرُونَ، حَتَّى أَصْبَحُوا فِي مَسَافَةٍ تَسْمَحُ لَهُمْ بِالِاتِّفَافِ حَوْلَ الْعَصَابَةِ.

تَفَرَّقَ الشَّيَاطِينُ الثَّلَاثَةُ فِي اتِّجَاهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ... وَفَجْأَةً دَوَّى صَوْتُ طَلْقَاتِ رِصَاصٍ ... كَانَ مَصْدَرُ الصَّوْتِ بَعِيدًا عَنِ مَكَانِ الْعَصَابَةِ ... اقْتَرَبَ «أَحْمَدُ» مِنْ «عَثْمَانِ» وَهَمَسَ لَهُ: عُدْ فَوْرًا إِلَى حَيْثُ «رِيْمَا» وَ«قَيْسُ» لَا بَدَأَ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا ...

أَسْرَعَ «عَثْمَانُ» بِالْعُودَةِ ... إِلَّا أَنَّ طَلْقَاتِ الرِّصَاصِ لَمْ تَتَوَقَّفْ ... لَمَعَ فِي الْفُضَاءِ ضَوْءُ طَلْقَةٍ بَلَا صَوْتٍ ... عَرَفَ «أَحْمَدُ» أَنَّ «قَيْسَ» وَ«رِيْمَا» قَدْ اشْتَبَكَا مَعَ مَجْمُوعَةٍ أُخْرَى ... أَخْرَجَ جِهَازَ الْإِرْسَالِ وَأَرْسَلَ إِلَى رَقْمِ «صَفْرٍ»: «مَنْ «ش. ك.» س.» إِلَى رَقْمِ «صَفْرٍ» ... نَحْنُ الْآنَ فِي الْمَوَاجِهَةِ، الْمَوْسِيقَى تَعْزِفُ لَحْنَ النِّهَايَةِ ...»

وَرَدَ رَقْمُ «صَفْرٍ»: «مَنْ رَقْمُ «صَفْرٍ» إِلَى «ش. ك.» س.» ... الْفَرَقَةُ فِي الطَّرِيقِ ...» ابْتَسَمَ «أَحْمَدُ» وَأَغْلَقَ جِهَازَ الْإِرْسَالِ ... تَوَالَى صَوْتُ طَلْقَاتِ الرِّصَاصِ ... ثُمَّ أُضِيتْ طَلْقَةُ صَفْرَاءَ فِي الْفُضَاءِ، بَلَا صَوْتٍ. عَرَفَ «أَحْمَدُ» أَنَّ الْمَوْقِفَ فِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى صَعْبٌ ... اقْتَرَبَ مِنْ «خَالِدٍ» وَقَالَ: اشْتَبَكَ أَنْتَ مَعَ الْعَصَابَةِ ... سَوْفَ أَسْرَعَ لِنَجْدَةِ الشَّيَاطِينِ ...

جربى «أحمد» بسرعة ... غير أن طلقات رصاص كالمطر كانت تتناثر حوله ... ألقى بنفسه على الأرض ثم أخذ يزحف ببطء ... كان واضحاً أن العصابة تعرف أماكن الشياطين تماماً ... لكنها في النهاية لا تعرف عددهم ...

سمع صوت حركة قريبة منه ... توقف قليلاً، وأخذ يمسح المكان بعينه ... رأى رجلاً يحمل مدفعاً رشاشاً يختبئ خلف شجرة ... ابتسم وأخذ يزحف ناحيته ... كان يحاول ألا يصدر أي صوت، حتى لا يفطن الرجل إلى وجوده ... ظل يزحف في ببطء حتى أصبح في مكان يسمح له بالانقضاض ... قفز قفزة واسعة، فأصبح فوق رقبة الرجل ... ضربه على رأسه ضربة قوية جعلته يترنح ... عاجله بضربة أخرى، فسقط الرجل فاقد الوعي ... أخرج حبلاً وأوثقه جيداً، واضعاً يديه خلف ظهره، ثم مدّ الحبل إلى رجله ... وترّكه مكوماً ...

حمل المدفع الرشاش وأسرع في اتجاه «قيس» و«ريما» ... من بعيد لاحت معركة بالأيدي ... كانت «ريما» تطير في الهواء، ثم تضرب عملاقاً في بطنه ... بينما كان «قيس» يرفع عملاقاً آخر في الهواء ويدور به، ثم يترّكه فيصطدم بشجرة، ويسقط على الأرض ... ابتسم «أحمد» وقال في نفسه: هكذا الشياطين ... رفع «أحمد» الرشاش في الهواء ثم ضغط الزناد، فانطلقت الرصاصات تدوي في الجزيرة حتى إن كثيرين ظهروا من خلف الأشجار ... ومن خلف شجرة ضخمة، خرج «عثمان» يسوق أمامه رجلين، رافعي الأيدي ... أسرع «أحمد» إليه ...

قال «عثمان»: يبدو أن الجزيرة ملأى بالرجال من أفراد العصابة!

أحمد: بالتأكيد ... فهنا يوجد ذهب العالم كله ...

وقف الاثنان يرقبان صراع «قيس» و«ريما» إلا أن العملاق الذي تصارعه «ريما» أفلت من إحدى ضرباتها ... ثم وجه لها لكمة جعلتها تنهوى ... لكن قبل أن يعاجلها بالثانية، كان «أحمد» قد أمسك بذراع ولواها حتى استدار إليه، وأصبحا في مواجهة واحدة. ضربه «أحمد» لكمة حادة في فكه جعلته يتهاوى ... وقفز فوقه، ثم ضربه ضربة ثانية، جعلته يصرخ متألماً ... بينما كان «عثمان» يعالج «ريما» التي نزفت الدماء من فمها ... كان «قيس» يمسك مسدسه ويوقف أفراد العصابة أمامه ...

أسرع «أحمد» وأوثقهم ... وربطهم في شجرة ضخمة، ثم تركهم ... وتحرك الشياطين بسرعة في اتجاه «خالد» الذي كان لا يزال يطلق الأعيرة النارية في اتجاهات مختلفة ... حتى يوهم العصابة بأن عدد الشياطين كبير.

لم تمض لحظات، حتى سمع أزيز طائرة ... رفع «أحمد» وجهه إليها، فرآها تقترب من الشاطئ ... أسرع الشياطين في اتجاه «خالد» ... اقتربت طائرة الهليكوبتر التي حلقت فوق رأس العصابة قرب الشاطئ، ثم أخذت تهبط في بطاء، ثم توقفت في الهواء ... فتُح باب من أسفل الطائرة ونزل منها سلم من الحبال وصل إلى الأرض ... أمسكه أحد أفراد العصابة ... وتسَلَّه آخر ...

نظر «أحمد» إلى الشياطين، وابتسم ... كان رجل العصابة قد أصبح في منتصف السلم ... أخرج «أحمد» بندقيته، وركب أجزاءها، ثم أحكم النيشان على الرجل ... وأطلق طلقة على الحبل، فانقطع السلم وهوى الرجل إلى الأرض ... في نفس اللحظة انهالت طلقات الرصاص حول الشياطين كالطرر بينما كانت الطائرة تأخذ طريقها للهرب ... أخرج «خالد» صاروخًا صغيرًا ركبه في طرف بندقيته ... ثم أطلق الصاروخ الذي أخذ طريقه إلى الطائرة وفي لحظة واحدة دوى انفجار هائل ... واشتعلت الطائرة وتهاوت إلى الأرض ... نظر الشياطين إلى بعضهم ... وضحكوا ...

لم تمض لحظات طويلة ... حتى ظهر سرب طائرات ... أطلقت إشارات صفراء ... عرف الشياطين أنها تابعة لرقم «صفر»، وعلى مرمى البصر ظهرت مجموعات من اللنشات البحرية ... كان واضحًا أنها تابعة لهيئة الأمم المتحدة ... فقد كانت ترفع علم الأمم المتحدة ...

تنفّس الشياطين بارتياح ... لقد انتهت المعركة، ووصلت الفرقة التي أشار إليها رقم «صفر» في رسالته ...

دارت الطائرات حول الجزيرة ... وفي منطقة بعيدة تمامًا، شاهد الشياطين مجموعات المظلات وهي تنفتح في الهواء ... فيبدو منظرها مُمتعًا ... دوت طلقات الرصاص في اتجاه مجموعات المظلات ... وبسرعة كان الشياطين يشتبكون مع أفراد العصابة، حتى يُعطوا فرصة لرجال المظلات للهبوط ... ارتفعت في فضاء الجزيرة أصوات من كل مكان ... كانت أصوات اللنشات التي تقترب من الشاطئ في سرعة، أضاء جهاز اللاسلكي مع «أحمد» ثم تلقى رسالة: «من مجموعة البحرية إلى الأصدقاء ... نهنتكم ...»

رد «أحمد»: «أهلًا بكم ... ش. ك. س» ...

صمتت طلقات الرصاص في منطقة العصابة ... كان من الواضح أنهم شعروا أنها النهاية ... كان الشياطين يرقبون اللنشات التي بدأت تتوقف وينزل منها بحارة الأمم المتحدة مسرعين إلى الشاطئ ... تلقى «أحمد» رسالة جديدة: «من مجموعة البحرية ... لا تشتبكوا معهم ... خذوا طريقكم إلى الشاطئ ...»

رد «أحمد»: «شكرًا ...»

أخذ الشياطين طريقهم إلى الشاطئ ... ووقفوا ينظرون ...
كانت مجموعات البحرية تتسلق الصخور في سرعة وإتقان ... ثم بدأت تختفي داخل
الجزيرة ... اقترب القائد من الشياطين قائلاً: أهلاً بالأصدقاء ... لقد أديتم خدمة نبيلة
للعالم ...

رد «أحمد»: إنه عالمنا في النهاية ...

أخذ القائد طريقه إلى داخل الجزيرة خلف مجموعات الجنود ... نظر «أحمد» إلى
الشياطين، ثم قال: ينبغي أن ننصرف الآن ...
أخرج جهاز الرادار الصغير، ثم أداره ... فحدّد له مكان الغواصة، اتجه الشياطين
إليها ... كانت أصوات متناثرة تأتيهم من بعيد، وكان يبدو أن كل شيء على ما يرام ...
عندما وصلوا إلى الغواصة، نزلوا الواحد بعد الآخر، حتى استقروا داخلها ... ووجد
«أحمد» رسالة داخلها من رقم «صفر» ... كانت الرسالة تقول: من رقم «صفر» إلى
«ش. ك. س» ... أهنئكم ... انتهى كل شيء. إجازة سعيدة في «بومباي» مع الصديق
«هان» ...

قرأ «أحمد» الرسالة أمام الشياطين، فابتسموا ... أدار موتور الغواصة، ثم ضغط
ذراع الغطس ...

قالت «ريما»: دعنا نرى سطح المحيط قليلاً ... ثم نزل إلى الأعماق؛ فإن المسافة
أماننا طويلة ...

ابتسم «أحمد» ثم ضغط ذراع الغطس مرة أخرى فتوقف، وسارت الغواصة كلنّش
بحري ...

كانت أمواج المحيط هادئة تماماً، وكان الصباح رائعاً ... قطعوا بعض المسافة، ثم
قال «عثمان»: هيا نزل إلى الأعماق ... إنها مُثيرة للغاية ...

نظر «أحمد» إلى «ريما» وابتسم، فابتسمت هي الأخرى. ضغط ذراع الغطس، فأخذت
الغواصة طريقها إلى الأعماق ... كان المنظر بديعاً بمجموعات الأسماك الصغيرة ذات الألوان
المختلفة وهي تتجمّع حول الغواصة لا يفصلها عن الشياطين سوى زجاج الغواصة ...
لكن فجأة ... ظهرت مجموعات الحيتان المتوسطة الحجم، مندفعة في اتجاه الغواصة ...
ضحك «خالد» وقال: معركة جديدة ...

كان الموقف طريفاً ... زاد «أحمد» من سرعة الغواصة فانطلقت بسرعة وانطلقت في أثرها الحيتان. استمرت المطاردة الضاحكة بين الحيتان والغواصة ... حتى اقتربوا من الشاطئ فاستدارت الحيتان للعودة إلى أعماق المحيط ...

ضغط «أحمد» ذراع الطفو ... فبدأت الغواصة تأخذ طريقها إلى السطح ... وعندما استقروا على السطح كانت أمامهم مفاجأة ...

كان «هان» يقف مُلوّحاً لهم ... ووجهه ممتلئ بالضحك ...

عندما خرجوا من الغواصة ... اقترب منهم «هان» وهو يقول: برنامج الإجازة في انتظاركم.

انطلقوا جميعاً ... يقضون إجازة سعيدة في «بومباي» وينتظرون رسالة من رقم «صفر» لمغامرة أخرى ...

